

وأُنذِرهم يوم الحسرة

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ

للشيخ / ندا أبو أحمد



وأندرهم يوم الحسرة

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضَلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.....

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

- إننا في حاجة شديدة لتذكُر هذا اليوم "يوم الحسرة" في عصر طغت فيه الماديّات، وكثرت فيه الشهوات وانصرف كثير من الناس عن منهج رب الأرض والسموات.

. قست منّا القلوب، وتحجرت العيون، وهُجِر كتاب علام الغيوب، بل قُرئ والقلوب لاهية ساهية في لجج الدنيا وأوديتها سابعة.

. زيّنا جدران بيوتنا بآيات القرآن ولم نزيّن به حياتنا، يقرأه البعض منا على الأموات ثم لا يحكمونه في الأحياء.

. غفلنا وهذه مصيبة، والمصيبة الأدهى والأعظم أننا لا نشعر أننا غفلنا، هبّت رياح المعصية فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا وطال علينا الأمد.

- لهذا كله كان لابد من الوقوف على بعض مشاهد الحسرة في الآخرة، عسى أن ننتهي عن الذنوب وتلين منا القلوب، وتستيقظ وتخشع وتذل النفوس، وننتبه من الغفلة، فأصل المصائب وارتكاب الذنوب وفعل المعاييب الغفلة عن الآخرة.

فذكر اليوم الآخر يُطهّر القلوب من الحسد والفرقة والاختلاف.

وذكر اليوم الآخر يهدد الظلمة ليكفوا ويرتعدوا، ويعزي المظلومين ليسكنوا، فكل سيأخذ حقه لا محالة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء فلا ظلم ولا هضم.

- ذكُر اليوم الآخر يمسح على قلوب المستضعفين والمضطهدين والمظلومين مسحة يقين تسكن معه القلوب؛ لأنهم يتطلعون لما أعده الله للصابرين من نعيم يُنسى معه كل ضرٍ وبلاء، وسوء وعناء، ويهُون عليهم ويعزيهم ما أعده الله للظالمين من بؤس يُنسى معه كل هناء.

نهيا معي يا عباد الله... لنقف على مشاهد الحسرة، أسأل الله لنا ولكم ألا نكون من أهل الحسرة، علّ ذلك تصلح به القلوب، وتتجه إلى علام الغيوب، وتتقاد الجوارح إلى العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم: ٣٩)

إنه يوم الحسرة..... وما أدراك ما الحسرة ؟

إنه إنذار وإخبار، وتخويف وترهيب بيوم الحسرة حين يُقضى الأمر.

إنه يوم يُجمَع الأولون والآخرون في موقف واحد يسألون عن أعمالهم.

فمن آمن واتبع وصدق في إيمانه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ومن تمرد وعصى شقى شقاء لا يسعد بعده أبداً، وخسر نفسه وأهله، وتحسّر وندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتتصدع منها الأفئدة أسفاً. فأصل المصائب وأساس الذنوب والمعايب هو الغفلة عن اليوم الآخر.

وأبي حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه وناره؟! إنها حسرة؛ لأنه لم يستعد للميعاد، ولم يستكثر من الزاد، وتحسّر لأنه لا إلى دنياه راجع، ولا في حسناته زائد.

فيا للندم والحسرة حيث لا ينفع ندم ولا حسرة

وأنذرهم يوم الحسرة يوم يوتى بالموت، كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري:

" كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة... هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم. هذا هو الموت، ثم يقال: يا أهل النار... هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم. هذا هو الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة... خلود فلا موت، ويا أهل النار... خلود فلا موت."

ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩)

أه ساعتها من ندم لا ينفع، ومن دموع لا تشفع، ومن صراخ لا يسمع.

إنها حسرة بل حسرات، أنباء مهولات، ندامات وتأسفات ورد ذكرها في غير ما آية من الآيات، تخبر عن معرضين عن رب الأرض والسموات، ولاهين ولاهيات عن يوم الحسرات.

فهيأ معي... لنعيش معاً مشاهدة الحسرة؛ لأذكّر بها نفسي وإياكم بهذا اليوم؛ حتى نستعد للميعاد ونصلح الزاد؛ حتى لا نندم قبل ألا ينفع ندم.

• فمن مشاهد الحسرة أجارنا الله وإياكم من الحسرات:

١. المشهد الأول: الحسرة على عدم الإخلاص:

الحسرة على أعمال صالحة شابقتها الشوائب، وكدرتها مبطلات الأعمال: من رياء وعجب ومئة فضاعت وصارت هباءً منثوراً في وقت الإنسان فيه أشد ما يكون إلى حسنة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
(الزمر: ٤٧ - ٤٨)

وأخرج الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء."

٢. المشهد الثاني: الحسرة على عدم الاتباع:

الحسرة على أعمال محدثة، وعبادات لم يأذن الله بها ولم يتبع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحسب أهلها أنهم يُحسنون صنعاً، لكنها تضيع في وقت الحاجة الماسة إليها، فهم الأخسرون أعمالاً وساءوا أحوالاً.

قال تعالى: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم: ١٨)

وقال تعالى: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ يَحْسبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ﴾
(النور: ٣٩)

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ (الفرقان: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهُ يُومِئِدُ خَاشِعَةً (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَاراً حَامِيَةً﴾

(الغاشية: ١-٤)

عملوا وتعبدوا، لكن على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فكان كما قال رب العالمين:

﴿ تَصَلَّى نَاراً حَامِيَةً﴾ (الغاشية: ٤)

- ويا حسرة من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحجز عنه، ثم ينادي عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فتقول الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول لهم: سحقاً سحقاً.

٣. المشهد الثالث: الحسرة على التفريط في طاعة الله:

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن النبي ﷺ قال:
"ما من قوم يقومون من مجلسٍ لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار،
وكان لهم حسرة"

وأخرج البيهقي من حديث عائشة . رضي الله عنها . عن النبي ﷺ قال:

"ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله فيها إلا تحسّر عليها يوم القيامة"

وانظر عندما يدخل العبد المفرط، المسيء، المسرف على نفسه القبر، ويسأله الملكان فلا يجيب، فيضرب بمطرقة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار تراباً، ثم يرى مقعده في الجنة، ويقال: هذا مكانك لو أطعت الله، فيتحسّر ويندم يوم لا ينفع ندم لأنه لا إلى دنياه راجع، ولا في حسناته زائد، ثم يصرخ

ويقول: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)

إنها الحسرة على التفريط في طاعة الله، وتصرّم وانقضاء العمر القصير في اللهث وراء الدنيا حلالها وحرامها، والاعتزاز بزيفها مع نسيان الآخرة وأهوالها.

قال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ

هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر: ٥٦-٥٨)

وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوذَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ

الْأَسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣١)

فالله ﷻ يحذرنا حتى لا نقف هذا الموقف، ونندم يوم لا ينفع ندم، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا

رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون: ٩-١١)

٤ - المشهد الرابع: الحسرة على التفريط في النفس والأهل:

الحسرة على التفريط في النفس والأهل أن يقيهم من عذاب جهنم، يوم يفقدهم العبد المفرط، ويخسرهم مع نفسه بعدما فتن بهم، ذلك هو الخزي والخسار، والحسرة والنار.

- عجباً لمن يغلق على أهله وأولاده المنافذ والأبواب مخافة عليهم من برد الشتاء ونسمة الهواء، ثم بعد ذلك هو يجعلهم طعمة للنار، إذ لا يأمرهم بمعروف، ولا ينهاهم عن منكر، ونسي هذا المسكين قول رب

العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦)

ونسي هذا المسكين قول الرسول الأمين ﷺ: "كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتِهِ".

وكأن لسان حال هذا الرجل يقول:

والسَّهْمُ مِنِّي نَحْوَ صَدْرِي يُرْسَلُ

بَعْضِي عَلَى بَعْضِي يُجَرِّدُ سَيْفُهُ

وَأَنَا الَّذِي يَا لَلْمَصِيبَةِ أَشْعَلُ

النَّارَ تَوْقَدُ فِي خِيَامِ عَشِيرَتِي

وصدق الله ﷻ حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

(الزمر: ١٥)

فيا خجلة العاصين، وبيا أسف المقصرين! يا شدة الوجع عند حضور الأجل، يا حسرة الفوت عند حضور الموت.

٥ - المشهد الخامس: حسرة جلساء أهل السوء:

حسرة جلساء أهل السوء يوم انساقوا معهم يقودونهم إلى الرذيلة، ويصدونهم عن الفضيلة إنها لحسرة عظيمة في يوم الحسرة، يُعبّرون عنها بعض الأيدي يوم لا ينفع عض الأيدي

كما قال ربي: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا

خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩)

وفلان في هذه الآية هو صاحب السوء الذي يدعو جليسه إلى شريط الأغاني، والفيلم الخليع، والمجلة الساقطة... وإلى كل ما يلهيه عن طاعة الله وذكره.

قال تعالى: ﴿ الأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ... ﴾ أي يوم القيامة... ﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)

فكل حبيب سيعادي حبيبه إلا المتحابين في الله، وكل صديق سيتبرأ من صديقه إلا من كانت صداقتهم على طاعة الله.

فإن كنت ممن ابتلوا بصحبة من لا تقربك إلى الله صحبتهم، فتبرأ منهم الآن قبل أن يتبرعوا منك، لكن متى وأين؟ أما الزمان فمعلوم (إنه يوم القيامة)، وأما المكان ففي النار.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا

كُنَّا نَدَّبُهُمْ بِمَنْ تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (البقرة: ١٦٦-١٦٧)

فهذه حسرة الأتباع المقلدين لأصحاب السوء، ولعلماء الضلالة، فالنجاة والفوز في اتباع النبي ﷺ

والسنة كسفينة نوح من ركبها فقد نجا، ومن تخلف عنها فقد هلك

فليست الحجة في قول فلان وفلان، إنما الحجة في قول النبي العدنان... إنها حسرة الأتباع المقلدين.

٦. المشهد السادس: الحسرة على أكل الحرام:

الحسرة على أموال جُمعت من وجوه الحرام:

(ربا، ورشوة، وغش، وغصب، وسرقة، واحتيال... وغير ذلك)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩)، وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨)

فيا الله... أي حسرة أعظم على امرئ آتاه الله مالا في الدنيا، فيعمل فيه بمعصية الله، فيرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله، فيكون وزره عليه وأجره لغيره.

٧. المشهد السابع: حسرات متفرقة:

- أي حسرة أكبر على امرئ! أن يرى عبداً كان الله ملكه إياه في الدنيا، يرى في نفسه أنه خير من هذا العبد، فإذا هذا العبد أفضل منه يوم القيامة.

- أي حسرة أكبر على امرئ! أن يرى عبداً مكفوف البصر في الدنيا قد فتح الله بصره يوم القيامة وقد عمي هو... إن تلك الحسرة لعظيمة... عظيمة.

- أي حسرة أكبر من امرئ علم علماً ثم ضيعه ولم يعمل به، فشقي به وعمل به من تعلمه منه فنجى به!.

- أي حسرة أعظم من حسرات المنافقين، الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يوم تبلى السرائر، وينكشف المخفي في الضمائر، ويعرضون على الله لا تخفى منهم خافية، ثم يكون المأوى الدرك الأسفل من النار، ثم لا يجدون لهم نصيراً.

٨. المشهد الثامن: الحسرة على ضياع الحسنات:

الحسرة على أعمالٍ صالحة كانت الأمل بعد الله، ولكنها ذهبت في ذلك اليوم العصيب إلى من تعدى حدود الله فيهم، فظلمهم في مال، أو في دم، أو في عرض.

وقد خاب من حمل ظلماً، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته حتى تفنى حسناته، ولم يقض ما عليه فيطرح عليه من سيئات من ظلمهم، ثم يطرح في النار.

وهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي أخبر عنه الحبيب النبي ﷺ.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" أتدرون من المفلس؟! قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ثم طرِح في النار"

أجارنا الله من النار

فأنا أذكر نفسي وإياكم بقول النبي صلى الله عليه وسلم:

" من كانت عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليأتته فليستحلها منه قبل أن يؤخذ، وليس عنده درهم ولا دينار، فإن كانت له حسنات، أخذ من حسناته فأعطىها هذا، وإلا أخذ من سيئات هذا فألقى عليه"

بل هناك نوع من القصاص يكون بين المؤمنين، ويكون عند القنطرة:

إنها القنطرة التي لا يعلم عنها الكثير من الناس شيئاً، فهي القنطرة التي يقتص فيها المؤمنون من بعضهم البعض، فبعد المرور من على الصراط، يظن الإنسان أن الأمر قد انتهى عند ذلك، ولم يبق سوى دخوله الجنة، وفجأة يجد نفسه على قنطرة المظالم، التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

" إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُوا وهُدِّبُوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل منه بمسكنه كان له في الدنيا "

يا الله... المظالم على القنطرة هي بين المؤمنين الذين يدخلون الجنة، فيقتص كل واحد منهم من الآخر بقدر مظلمته، فيزداد ويرتفع المظلوم درجة في الجنة، ويخسر الظالم درجة في الجنة. فإياك... إياك ومظالم العباد.

- ألم أقل لكم أن الأمر خطير جد خطير، ولا يصلح فيه ولا ينجي منه إلا إصلاح الزاد، والبعد عن ظلم العباد... كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من كانت عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليأتها فليستحلها منه "

٩ - المشهد التاسع: الحسرة عند مجيء جهنم:

- أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

"يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها".

فيا له من مشهد مهيب تتفطر منه القلوب... فإذا جيء بجهنم لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه، وقال: يا رب... سلم... سلم: يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى

لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿ (الفجر: ٢١-٢٤)

تأمل معي الحسرة الشديدة لكل من فرط في حق الله صلى الله عليه وسلم، إذا رأى جهنم فإنه يصرخ ويقول:

﴿... يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿ (الفجر: ٢٤) كلمة يقولها كل من فرط في الصلاة وضيق، وكل من عق

والديه، وكل من ظلم العباد وحارب الله بارتكاب الذنوب والموبقات، كلمة تقولها كل من تركت حجابها.

فاتقوا النار أيها الأحبة... فإن الله أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت،

وألف عام حتى اسودت، فهي الآن سوداء قاتمة يصل الحجر إلى قعرها بعد سبعين سنة، فإن قعرها

بعيد... وحرها شديد... ومقامها من حديد.

١٠ - المشهد العاشر: حسرات واستغاثة أهل النار:

وتأمل في حال أهل النار، وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، قد شدت أقدامهم إلى النواصي،

واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي وهم في النار، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها:

يا مالِك... قد حق علينا الوعيد، يا مالِك... قد أثقلنا الحديد

يا مالِك... قد نضجت منا الجلود، يا مالِك... أخرجنا منها فإنا لا نعود.

فتقول الزبانية: لا خروج لكم من دار الهوان، فاحسبوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما

نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم، ولا

يغنيهم الأسف، بل يكون على وجوههم مغلولين، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار،

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿ (الأعراف: ٤١)

ويلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يُغني من جوع، طعام ذي عُصّة، فيطلبون الشراب فيُرفَع إليهم الحميم بكلايب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم.

فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيدعون خزنة جهنم، ويقولون لهم:

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر: ٤٩-٥٠)

فيقولون ادعوا مالكا، فيدعون فيقولون: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ . . ﴾ فيجيبهم: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ﴾ قال الأعمش: أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام.

فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم: فيقولون:

﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (١) فيجيبهم: ﴿ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٦-١٠٨)

منتهى الحسرة ... فإلى من بعد ذلك سيذهبون إذ قد هانوا على رب العالمين؟! - فعند ذلك يسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل.

قال محمد بن كعب:

لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله ﷻ في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً.

يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَمَّا آتِنَا اثْنَيْنِ وَأُحْيِيْنَا اثْنَيْنِ فَاعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (غافر: ١١)

فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (غافر: ١٢)

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ وَتَبِعِ الرَّسُلَ . . ﴾

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ . . . أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم: ٤٤)

فيقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ . . . ﴾

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ . . . أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ التَّذْيِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾

(فاطر: ٣٧)

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾

فيجيبهم الله تعالى: ﴿ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٦، ١٠٨)

فلا يتكلمون بعدها أبداً، وذلك غاية شدة العذاب.

- قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (إبراهيم: ٢١)

قال: صبروا مائة سنة، ثم جزعوا مائة سنة، ثم صبروا مائة سنة، ثم قالوا:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (إبراهيم: ٢١)

قال أحمد بن حرب:

إن أهدنا يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجنة على النار.

وقال عيسى عليه السلام:

كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح.

وقال داود:

إلهي لا صبر لي على حر شمسك، فكيف صبري على حر نارك؟

١١. المشهد الحادي عشر: الحسرة الكبرى: تحاور أهل الجنة مع أهل النار:

فإنه إذا استقر أهل النار في النار يذوقون عذابها، ويشربون من حميمها وصدورها، ويأكلون من

زقومها، ينادي عليهم أهل الجنة وهو يشربون من أنهار الجنة ويأكلون من ثمارها:

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ

مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٤)

١٢. المشهد الثاني عشر: الحسرة الأعظم: تطاور أهل النار مع أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَتَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٥٠ . ٥١)

١٣. المشهد الثالث عشر: حسرة الظالمين المفسدين في الأرض:

حسرة الظالمين المفسدين في الأرض الذين يصدّون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، حين يحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم، كيف حالهم عندما يقرع أسماعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، كما قال رب العالمين: ﴿... فَأَذِّنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف: ٤٤ . ٤٥)

١٤. المشهد الرابع عشر: أعظم المشاهد المخزية حسرة:

بعدما استقر أهل الجنة في الجنة، واستقر أهل النار في النار تبدأ المحاورات والمناقشات والمجادلات بين أهل النار...
ومن أعظم المشاهد المخزية حسرة في يوم القيامة يوم يتبرأ الظالمون بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ويتصلّ ويتبرأ التابع من المتبوع والعكس، فذاك قول الله تعالى:
﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨)
فيا حسرة الأتباع والأعوان عندما يقولون لسادتهم: إنا كنا لكم تبعاً، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟
﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (غافر: ٤٧)

فإذا بالسادة أذلة، قد عنت وجوههم للحي القيوم، لا يملكون لأنفسهم شيئاً ولا يستطيعون

يقولون: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٨)

وهنا تبدأ الحسرات والزفرات والآهات، عندها يقول التابعون للمتبعين: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ لَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

(سبأ: ٣١)

أي حُلتُم بيننا وبين الإيمان، زَيَّنتُم لنا الكُفْران فتبعناكم، فأنتُم المجرمون، وبالعذاب أنتُم جديرون، وله مستحقون....

ويريد هؤلاء الضعفاء أن يحمّلوهم تبعة الإغواء الذي صار بهم إلى هذا البلاء، وبضيق الذين استكبروا بهم ذرعاً إذ هم في البلاء سواء....

عندئذ يردون عليهم ويجيبونهم في ذلة مصحوبة بفظاظة وفحشاء:

﴿أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ...﴾ (سبأ: ٣٢)

نعم. زَيَّنَّا لكم الحرام لكننا لم نقهركم عليه، فما لكم علينا من سلطان.

نعم. عرضنا عليكم الأفلام الساقطة الخليعة، ولم نحملكم على مشاهدتها.

نعم. عرضنا عليكم المجلات الهابطة، والقصص الخليعة، ولم نحملكم على قراءتها.

نعم. عرضنا عليكم الملابس الخليعة الماجنة، ولم نحملكم على لبسها بل أنتُم اشتريتموها.

فهل يعذر المسلم في اتِّباعه للمفسدين المضلين؟! كلا. والله لا يعذر.

لأن المفسدين المتسلطين لن يعذروه بين يدي الله يوم القيامة، فهم يقولون:

﴿أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (سبأ: ٣٢)

ثم يدرك الجميع أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء، إلا براءة بعضهم من بعض، علم كل منهم أنه ظالم لنفسه، مستحق للعذاب، فيندم حين لا ينفع الندم، ويتمنى لو كان على الحق والإيمان

والهدى والرشاد، لكن ولات حين مناص، فكان حالهم كما قال رب العالمين:

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (سبأ: ٣٣)

وأخيراً خطبة إبليس القاسمة:

- قُضي الأمر، وانتهى الجدل، وسكت الحوار، قام إبليس يخطب فيهم خطبته الشيطانية القاسمة يصبها

على أوليائه: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ... ﴾

إنها طعنة أليمة نافذة، لا يملكون أن يردوها عليه، وقد قضي الأمر وفات الأوان، ثم قال الشيطان:

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ... ﴾ ثم يؤثِّبهم على أن أطاعوه:

﴿ فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ... ﴾

نفض يده منهم، وهو الذي وعدهم ومثَّاهم ووسوس لهم، وأما الساعة فلا هم يستطيعون أن يدفعوا عنه

العذاب، ولا هو يستطيع أن يدفع عنهم العذاب: ﴿ ... إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢)

فيا للحسرة والندم...!!! ويا حسرة المقصرين... ويا حسرة العاصين، لذات تمر وتبعات تبقى، تريدون نيل

الشهوات والحصول في الآخرة على الدرجات؟ جمع الأضداد، غير ممكن يا تراب

فدع الذي يفنى لما هو باق... واحذر ذل قدمك، وخف حلول ندمك، واغتنم شبابك قبل هرمك

جعلنا الله وإياكم من الرابحين السعداء، يوم يخسر المبتطلون الأشقياء، ويتحسر المتحسرون

التعساء، إن ربي ولي النعماء، وكاشف الضر والبلاء.

عباد الله... في يوم القيامة يبحث كل إنسان عن أي وسيلة مهما كانت ضعيفة واهية، لعلها تصلح

لنجاته من غضب الله، ولذلك تكثر المناقشات والمحاورات بين الآباء والأبناء، والأزواج والزوجات،

والكبار المتسلطين والصغار التابعين، بين الأغنياء الجبارين والفقراء المنافقين، كل يحاول إلقاء التبعة

على غيره، لكن حيث لا تتفع المحاورات ولا الخصومات، ولا التتصل من التبعات، ثم لا يكون إلا

الحسرات.

- أما أن لنا أن نحذر من كل ناعق ملبس خائن، يمكر بالليل والنهار، قبل أن تقول نفس: يا حسرتاه.

- أما أن للضعفة الأتباع أن يتبرعوا من متبوعهم الظالمين المفسدين، فلا يكونوا أداة لهم في ظلم في

دماء أو أعراض، طمعاً في جاه أو حطام، فإنهم سينقلبون عليهم يوم القيامة، ويلعن بعضهم بعضاً حيث

لا ينفع لعن ولا ندم. ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ

لَعْنَا كَبِيرَا ﴾ (الأحزاب: ٦٧، ٦٨)

- أما أن للمرأة المسكينة في زماننا اليوم أن تنتبه لهذه المواقف، فتتبرأ في دنياها اليوم من كل ناعق لها باسم الحرية والتمدن، ومتابعة الأزياء والموضات، حتى لا تتحسر يوم الحسرة الكبرى، عندما يتبرأ منها شياطين الإنس والجن الذين أضلوها، ثم لا يغنوا عنها من عذاب الله من شيء إلا الخصام والتلاعن.

- أما أن الأوان لأتباع الطوائف الضالة المبتدعة أن يفيقوا ويدركوا خطر هذه المتابعة التي ستتقلب حسرة كبرى، وعداوة، ولعنة بينهم وبين متبوعيههم يوم القيامة!!!

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٥)

- أما أن لأهل المعاصي أن يعلنوها توبة عاجلة نصوحاً، قبل الممات وقبل يوم الحسرات، يوم تشهد الأعضاء والجوارح، وتبدو السوءات والفضائح!!!

فهبيا معاً لنسبح في بحر التوبة لنطفئ لفتح وحرارة الذنوب ليرضى عنا علام الغيوب

واعلم أخي الحبيب... أن الله ﷻ لا يقبض أحداً من رحمته، فبابه دائماً مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وإلى أن تغرغر الروح.

وانظر كيف فتح الله أبواب رحمته لأصحاب الكبائر لكي يتوبوا ويعودوا.

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣)

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر، إلا أن الله ﷻ فتح لهم باب التوبة، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣-٣٤)

(٢) وها هم أصحاب الأخدود الذين حرّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد،

هؤلاء الذين فرّقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين وهم يحترقون في النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج: ١٠)

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا...﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

يقول الحسن البصري:

انظروا إلى الجود والرحمة قتلوا أولياءه، وهو يدعوهم إلى التوبة والاستغفار.

(٣) وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُدِّدْ فِيهِ مَهَانًا﴾ (الفرقان: ٦٨، ٦٩)

ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان: ٧٠، ٧١)

(٤) وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، يفتح الله أمامهم باب التوبة لكي يتوبوا ويقوموا الصلاة، ويتركوا الشهوات، ويقبلوا على فعل الطاعات، قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم: ٥٩، ٦٠)

٥ . قال ابن عباس . رضي الله عنهما . في قول الله ﷻ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

(الزمر: ٥٣)

قال: دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيزاً ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة.

قال الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٧٤)

هيا بنا... نقلع عن المعاصي ونبدأ صفحة جديدة مع الله ﷻ طامعين في رحمته راجين موعوده

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)

هيا بنا... نتبرأ من الشيطان قبل أن يتبرأ منا.

هيا بنا... نتواعد على طاعة الله؛ ليكون موعداً في جنة الرحمن، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن

سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحتى نعلم برؤية وجه الله ﷻ ونكون في صحبة نبينا ﷺ.

قصة:

يقول أحد المشايخ: كان يسكن بجوارنا عائلة صغيرة، وكان من أفرادها شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، وكان مولعاً بالأغاني ولعاً شديداً إلى درجة أنه كان يحب إحدى المغنيات، لا يحب صوتها فحسب، بل كان يحب المرأة بذاتها.

وكنت أتعمده وأتعده بالنصح كلما سحنت لي الفرصة، فأحياناً أرعبه في الجنة، وأحياناً أخوفه من النار، وكنت إذا نصحته تَغَرَّوْرُقَ عيناه بالدموع وأحياناً يبكي، وكان بعد كل نصيحة يعاهدني أن لا يعود إلى الأغاني، ولكن لا يلبث أن ينكث العهد ويخلف الوعد.

وذات ليلة ذكرت به بالجنة والنار، فأخذ يبكي بكاءً شديداً حتى رحمته، ولكنني أحسست أن هذه المرة سيكون لنصيحتي تأثيراً، فقلت له: أعطني يدك فأعطاني يده فقلت له: عاهد الله ثم عاهدني أن لا تعود فقال لي: عاهد الله ثم عاهدك أن لا أعود.

ثم جاءني في الصباح ومعه أشرطة الأغاني، وقال لي: خذ هذه الأشرطة كسرّها... أحرقها أفلع بها ما تشاء المهم أن تخلصني منها، خلصني من مرض قلبي الذي طالما أغفلني عن الصلوات وعن رب الأرض والسموات... فقلت: سبحان مقلب القلوب، ما الذي حدث؟!

فقال لي: بعد أن تركتك البارحة ذهبت إلى بيتنا ثم نمت، فرأيت في المنام أنني كنت أسير على شاطئ البحر فإذا بأحد أصحابي مقبل عليّ يركض، فلما وصل إليّ بادرنى بالسؤال: أتحب المرأة الفلانية؟ فقلت: له بشوق: نعم، فقال: إنها هناك تغني فانطلقت أركض... وأركض، أريد أن أراها فقد أحببتها حباً شديداً، فلما اشتد بي التعب إذا بي أراها وهي تغني، فوقفت أنظر إليها، وأستمع إلى صوتها معجب بها، فبينما أنا كذلك إذ بيد تلامس كتفي فالتفتُ فإذا وجه منير كالقمر ليلة البدر تزئنه لحيه، عليه آثار الصلاح، وتلا عليّ قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢)

وأخذ يردد بصوت شجي عذب، وأخذ يبكي حتى تأثرت أنا فأخذت أبكي معه، ونحن نردد الآية فاستيقظت من نومي فجأة وأنا أرددها وأبكي، ثم دخلت عليّ أمي، فلما رأنتي على هذه الحال تأثرت وأخذت تبكي معي.

يقول الشيخ: وبعد ذلك أصبح الشاب يكره الأغاني كرهاً شديداً، وأصبح يتلذذ بالقرآن تلذذاً عجبياً، أراه في الدموع التي تنزل من عينيه حين يقرأه.

نهيا... هيا أخي العاصي... أخي الحبيب اكتب قصة الرجوع بقلم النزوع بمداد الدموع، واسع بها على قدم الخضوع إلى باب الخشوع، وسل رفعها فربّ سؤال مسموع.

وبعد...،

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه أن ينفع بها مؤلفها وقارئها ومن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثمّ خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخلا
جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

جزى الله خيراً كل من أعان على نشر هذه الرسالة...،